مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٧) العدد (١)
الإصدار الثالث والعشرون
٢٠٢٦ (١٦-١)

الرد العلمي على المستشرق "جولد زيهر" حول طعنـــه في القراءات القرآنية

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الدكتور المقرئ نبيل بن عبد القادر دغفالي

جامعة الجزائر١ ، يوسف بن خدة، كلية العلوم

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٥ يناير ٢٠٢٦م

الملخص

عندما يَعجز أعداء الإسلام في مواجهته والانتصار عليه عسكرياً يميلون إلى الوسائل الفكرية ـــ الحرب البديلة ـــ لعلّهم يفلحون في تشويه صورته في العالمين؛ فضلاً على أن يحققوا نصراً مبيناً عليه، وانطلاقاً من هذا المفهوم فقد أجمع أعداؤه على أنّه ثمت قوة خارقة من وراءه لحمايته، يعجزون كلّ العجز عن مواجهتها عبر العصور والدهور، فكان لزاماً عليهم البحث عن وسيلة أخرى، فشرعوا في إرسال البعثات التبشيرية الاستشراقية للبلاد العربية في الشرق الأوسط خاصة، وإخراج نتاجهم المعرفي المتنوع بهدف ضرب الإسلام في مقتله ـــ تشويه مصادره الأساس ـــ القرآن، السنة،...ويعدّ الناتج المعرفي السّلبي للمستشرقين في الدراسات القرآنية باباً علمياً خطيراً، حيث يتمّ من خلاله الطعن في مصادر الشريعة وشخصية الرسول ﷺ، ومن تلك المحاولات الطعن في صحة القراءات القرآنية من المستشرق جولد زيهر، حيث حاول جاهداً تحريف وتزييف الحقائق التاريخية المتعلقة بالنصّ القرآني وكيفية أداءه، وصحة نقل القراء العشرة للقراءات عبر الأمصار والأعصار، ومحاولة لتحريف حقيقة اللهجات العربية التي نزل بها القرآن؛ كثبوت نصّه، ورسمه، وطريقة تلقيه ونقله، ولكنّ علماء الإسلام في كل زمان ومكان كانوا ولا يزالون بالمرصاد لردّ تلك الشبهات والمطاعن حول القرآن العظيم، وذلك بالعلم والحجة والسلطان، لتظهر الحقيقة العلمية جلية في سلامة القرآن بالقراءات العشر من كل خلل وزلل، وإن دلّ هذا فهو لأكبر دليل على أنّ القرآن الكريم ـــ بقراءاته العشر المتواترة ـــ كتاب حق ويقين، وأنّ مصدره صحيح لا شك فيه من عند الله تعالى المنزّه عن كل نقص وطعن وتشويه، وهو الذي تكفّل بحفظه فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:٠٩].

*** مقدمة**

الحمد لله الذي نزّل الكتاب على عبده هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، وحفظه من كل تحريف وتصحيف، فقال تعالى:((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))[الحجر:٠٩]، وأنزله سبحانه وتعالى بعدة لهجات ولغات عربية لتسهل قراءته ودراسته، ولتتضح معجزته عبر العصور والدهور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، الذي نزل القرآن على قلبه هدىً وبشرى للمؤمنين، والذي

قال في الحديث النبوي الشريف:"إنَّ هَذَا القُرآنَ أُنزلَ عَلى سَبعةِ أَحْرُف"[٠١]، وعلى آله وصحبه، وأهل القرآن أجمعين، أمّا بعـــد: –

ولقد تزامن ظهورُ الاستشراق وعصورَ النهضة في أوروبا والغرب، بينما تراجعت ـــ للأسف ـــ الأمة الإسلامية في عديد الميادين الدينية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية وغيرها لسبب أو آخر، فأسهم الكثير من المستشرقين؛ الذين عُنوا بالدراسات الإسلامية في الغرب بنقل الحضارة الإسلامية لأوروبا خلال عصور النهضة الإسلامية كما كان في الأندلس، فكان لهذا العمل أثراً بالغاً في تطور الحضارة الأوروبية، ولكن بالمقابل أثّر "الاستشراق" سَلباً وإيجاباً على التراث الإسلامي، سواءٌ في الغرب أم في البلاد العربية والإسلامية، وسواء كان ذلك النتاج المعرفي "إيجاباً كدراسة المخطوطات الإسلامية وإخراج ما فيها من كنوز علمية جمّة، وإمكانية الاستفادة منها في تطوير حضارتنا العربية والإسلامية في شتى المجالات، أو كان: "سَلباً" كإثارة الشبهات والمطاعن حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، والطعن في ظاهرة الوحي الإلهي، حيث دأب بعض "المستشرقين" القدماء ـــ أمثال "جولد زيهر" وغيره خاصة على محاولة التشكيك في صحة مصدرية القرآن الكريم، ونشر الشبهات حوله وتجاهل حقائقه، وإثارة المزاعم والمطاعن حول قراءاته، من خلال: ثبوت نصّه، ورسمه، وطريقة تلقيه ونقله.

ولقد انبرى الكثير من علمائنا المحققين في تفنيد تلك الشبهات بالعلم الدقيق، بعيدين كل البعد عن التعصب والتطرّف، كطعنهم في مصدرية الوحي من خلال التشكيك في صحة وسلامة القراءات القرآنية، أو الطعن في التراث الإسلامي بغرض تشويه صورته في العالم، وغيرهم من الشبهات، فوجب على الباحثين والدّارسين التحذير منها وتفنيدها.

*** القراءات القرآنية ومطاعن المستشرقين،**

*** التعريف بالقراءات القرآنية، وضوابطها، وأقسامها، وأشهر أسماء قرائها.**

أولاً: تعريف القراءات: لغـــة: جمع قراءة، وهي مصدر سماعي لقرأ.

واصطلاحاً: علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجهٍ لناقله.[٠٢]

ثانياً: ضابط القراءة المقبولة.

ضبط علماء القراءاتِ القراءةَ الصحيحة بقاعدة متفق عليها بينهم وهي تتمثل في ثلاثة شروط: –

أولاً: موافقة اللغة العربية ولو بوجه واحد.

ثانياً: موافقة رسم المصاحف ولو احتمالاً.

ثالثاً: صحة السند إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، عن سيدنا جبريل عليه السلام، عن ربّ العزّة جلّ جلاله.

فإذا توفرت هذه الشروط الثلاثة كانت القراءة صحيحة، ولو نقص شرط واحد، فالقراءة مرفوضة ولو في السبعة.

هذا ما قرره أئمة القراءة، ومنهم أمير القراء ابن الجزري رحمه الله في طيبة النشر في القراءات العشر فقال: –

فكلُّ ما وافقَ وجهَ نحْـــوٍ ** وكان للرّسْم احتمالاً يَحْوي

وصـــحَّ إسناداً هـــو القرآنُ ** فهـــذه الثّـــلاثـــةُ الأركانُ

وحيثما يختلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ** شُذُوذَه لو أنّــه في السّبْعــــةِ [٠٣][1]

ثالثاً: أقسام القراءات القرآنية

أقول: تنقسم القراءات القرآنية حسب أسانيدها إلى ستة **أقسام:** المتواتر، المشهور، الآحاد، الشاذ، الموضوع، والمدرج.

المتواتر: هو ما نقله جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند، وهذا النوع هو غالب القراءات.

المشهور: هو ما صح سنده، واستوفى شروط القراءة الصحيحة، واشتهر عند القراء كالقراءة المدرجة.

والقراءات العشر المقروء بها كلها مشهورة على الأصول أي: لتوافر ضابط القراءة الصحيحة فيها، وللسند المتصل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآحاد: هو ما صح سنده، وخالف الرسم أو العربية، ولم يشتهر الاشتهار المذكور، وهذا لا تجوز القراءة به، لكن إن وافق الرسم والعربية جاز.

الشاذ: هو ما لم يصح سنده ولو وافق رسم المصحف والعربية.

مثل قراءة: "مَلَكَ يوم الدين" بصيغة الماضي في: ملك، ونصب: يوم مفعولاً، فهــي قراءة: سيدنا علي بن طالب رضي الله عنه.[٠٤]

قلت: الشاذ هو القراءة التي اختل فيها ركن من الأركان الثلاثة لصحة القراءة.

الموضوع: وهو المختلق المكذوب، كالذي لا يصح فيه نقل فهو أقل من أن يُسمى شاذاً، ولو وافق العربية والرسم، بل هو قراءة مكذوبة يكفر متعمدها، انتهى قول الإمام الزرقاني في كتابه؛ المناهل. [٠٥]

المدرج: هو وما زيد في القراءة على وجه التفسير، كما نقل عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، أنّه قرأ قوله تعالى في سورة الكهف:"وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً"، فكلمة "صالحة" ليست قرآنا، إنما هي تفسير. [٠٦]

قلت: وهذه الأنواع الثلاثة الأخيرة أعني:"الشاذ والموضوع والمدرج" لا تجوز القراءة بها اتفاقاً لفقدان شروط القراءة الصحيحة، ويعاقب من قرأ بها.

---

[1] [٠١] حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٧٦٤٨، ١٨٩/١٦.

[٠٢] انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، الشيخ عبد الفتاح القاضي، طبعة دار السلام، مصر ص ٥١.

[٠٣] انظر: طيبة النشر لابن الجزري، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ص ٣٢.

[٠٤] معجم القراءات، ٨/١.

[٠٥] مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني، ٥٠٩/١.

[٠٦] انظر مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني، ٥٢١/١، وعلوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر، دار الخير، دمشق، ص، ١٤٨ - ١٤٩.

[٠٧] معرفة القراء الكبار، للذهبي، ٢٤١/١ ـ ٢٤٧، ١٩٧/١ ـ ٢٠٣، ٢٢٣/١ ـ ٢٣٧، ١٨٦/١ ـ ١٩٧، ٢٩٦/١ ـ ٣٠٥، ٣٢٨/١ ـ ٣٣٢، ١/ ٤١٩ ـ ٤٢٢، وغاية النهاية، لابن الجزري، ٤٤٣/١ ـ٣٤٦/٤٤٥،١ ـ ٣٤٩، ٣٨٣/٢، ٣٨٢/٢ ـ ٣٨٤.

[٠٨] انظر: لسان العرب لابن منظور، ط، دار المعارف القاهرة، سنة:١١١٩م، ٢٢٤٥/٢٥ ـ ٢٢٤٨.

رابعاً: أشهر أسماء القراء العشرة

١- **نافع المدني:** هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، أصله من أصفهان، توفي بالمدينة سنة، ١٦٩هـ.

٢- **ابن كثير:** هو عبد الله بن كثير المدني، وهو من التابعين، توفي سنة، ١٢٠هـ.

٣- **أبو عمري البصري:** هو زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري، توفي بالكوفة سنة، ١٥٤هـ.

٤- **ابن عامر الشامي:** هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي، قاضي دمشق، وهو أيضاً من التابعين، توفي بدمشق سنة، ١١٨هـ.

٥- **عاصم الكوفي:** هو عاصم بن أبي النجود، يكنى أبا بكر، وهو من التابعين، توفي بالكوفة سنة، ١٢٨هـ.

٦- **حمزة الكوفي:** هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات، يكنى أبا عمارة، توفي بحلوان سنة، ١٥٦هـ.

٧- **الكسائي الكوفي:** هو علي بن حمزة الكوفي، ويكنى أبا الحسن، ويقال له الكسائي لأجل أنه أحرم في كساء، توفي بـــ: "رنبويه"، من قرى الري في طريق خراسان سنة، ١٨٩هـ.

٨- **أبو جعفر المدني:** يزيد بن القعقاع، توفي بالمدينة سنة، ١٢٨هـ.[٢]

٩- **يعقوب البصري:** هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، توفي بالبصرة سنة، ٢٠٥هـ.

١٠- **خلف العاشر:** هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي، توفي سنة، ٢٢٩هـ.[٠٧]

*** التعريف بظاهرة الاستشراق، ونشأته، وأهم أهدافه.**

أولاً: الاستشراق لغةً: نجد هذا المصطلح:(استشراق) أنّه، مصوغ على وزن: استفعال، ومشتق من مادة: (ش ر ق) بعد حذف الزوائد: "الألف والسين والتاء "التي وضعت لطلب الشيء فيصبح المعنى: طلب لغات الشرق وعلومه وأديانه، أو التعرف إلى العالم الشرقي من خلال الدراسات اللغوية، والدينية، والتاريخية، والاجتماعية، وغيرها، ولفظة الاستشراق

---

[٢] [٠٩] انظر: موقف السلم من الدراسات الاستشراقية، محمد علوي المالكي، ط: دار حسان، القاهرة، ص٦ ـ ٧، وكتاب: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للد/حمدي زقزوق، ط٢، دار المنار القاهرة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ووزان عدنان محمد، في كتابه: الاستشراق، والمستشرقون، مكة المكرمة، رابطة العلم الإسلامي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص١٥.

[١٠] الاستشراق رسالة استعمار، محمد إبراهيم الفيومي، ط دار الفكر العربي، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، القاهرة، ص ١٤١ ـ ١٤٢.

[١١] انظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الدكتور مصطفى السباعي، ط، دار الورّاق، المكتب الإسلامي، ص١٧ ـ ١٩.

[١٢] انظر: الاستشراق في الأدبيات العربية، علي النملة، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، ع:٣٢٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ص٢٣٢.

[١٣] انظر: الفهم الاستشراقي في تفسير القرآن الكريم لعادل ماجد المرجع السابق، ص١٠ ـ ١١.

[١٤] انظر: مصطفى السباعي، ٢٥ ـ ٣١.

[١٥] انظر: مصطفى السباعي، ٢٥ ـ ٣٢.

مشتقة من الشرق، وبالتدقيق الشرق العربي الإسلامي، ولقد جاءت مادة (شرق) في القواميس والمعاجم العربية للمعاني التالية: شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً: أي: طلعت، واسم الموضع المشرق، قال تعالى:((حَتَّى إِذَا جَاءَانَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْـــمَشْرِقَيْنِ فَبِئسَ الْقَرِينُ))[الزخرف:٣٨]، إنما أراد بُعد المشرق والمغرب فلمّا جُعلا اثنين غُلِّب لفظ المشرق لأنّه دال على الوجود، والمغرب دال على العدم، والوجود لا محالة أشرف، كما يقال؛ القمران للشمس والقمر.[٠٨]

ثانياً: الاستشراق اصطلاحاً: أقول: إنّ مصطلح الاستشراق مشتقٌ من الشرق كما سبق في الدراسة اللغوية، وبالتدقيق الشرق العربي الإسلامي، والاستشراق أو الدراسات الاستشراقية مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على: اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، ولقد اقتصرت الدراسات الاستشراقية في بداياتها على دراسة الدين الإسلامي وحضارته، ودراسة اللغة العربية وآدابها، ثم اتسعت دائرة دراسته إلى دراسة الشرق كلِّه: لغاته، وآدابه، وتقاليده، وأديانه، لكنّ دراسة الدين الإسلامي واللغة العربية هو أهمّ ما اعتنى به المستشرقون وأُلُوا أهميةً بالغةً له. [٠٩]

يقول إبراهيم الفيومي: "إن إدوارد سعيد لم يبالغ في فضح نوايا وأعمال الاستشراق، ولكن ليس من المنطق ولا من التاريخ أن نُّصدر حكماً عاماً على أكاديمية الاستشراق ففيها: التوجه الاستعماري، والتوجه التبشيري، وفيها الموضوعيون".[١٠]

ثالثاً: نشأة الاستشراق في الغرب.

لا نستطيع الجزم لا في أي مكان ولا في أي زمان بالتحديد متى بدأت حركة الاستشراق، ولا من هو أول غربي عُني بذلك، ولكن من المؤكد أنّ بعض الرّهبان الغربيين قد شدّوا الرحال إلى الأندلس في أَوْج عظمتها ومجدها، فتعلموا في مدارسها، ونهلوا من معينها في شتى العلوم العربية والشرعية، والكونية كالفلسفة، والطب والرياضيات، وكان ذلك على أيدي كبار علماء المسلمين آنذاك، فجاءت ترجمة القرآن الكريم وبعض الكتب العربية إلى لغاتهم باكورة أعمالهم الاستشراقية، وكان الراهب الفرنسي جربرت"gerbert"من أوائل هؤلاء الرهبان، وانتخب بابا لكنيسة روما عام٩٩٩م، وتم ذلك بعد تخرجه من معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وجاء بعده بطرس المحترم عام ١٠٩٢-١١٥٦م، و"جيراردي كريمونعام" ١١١- ١١٨٧مـــgerarddegremone، وبعد عودة هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ما تعلموه من العلماء المسلمين في الأندلس، ونشروا مؤلفاتهم، ثم أسّست

المعاهد والجامعات [٣]والدور للدراسات العربية، وانتشرت المدارس العربية والجامعات التي تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، واستمر ذلك النهج قرابة ستة قرون، ثم جاء القرن الثامن عشر؛ عصر استعمار العالم الإسلامي والعربي، والاستلاء على ممتلكاته ومقدراته، فاستولى المستشرقون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، يشترونها من الجهلة مرة، ويسرقونها عنوة مرة أخرى، وقد بلغت المخطوطات المسروقة في مطلع القرن التاسع عشر نحو: ألفين وخمسمائة مجلداً، والعدد في تزايد إلى اليوم، وفي الربع الأخير من القرن نفسه عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام١٨٧٣م، ويتوالى بعده عقد المؤتمرات التي تُلقى فيها الدراسات عن الشرق، وأديانه، وحضارته، وما تزال تعقد إلى اليوم. [١١]

ويربط آخر نشأة الاستشراق بالإصلاح الديني في عصور التنوير والثورة على الكنيسة في القرن السادس عشر الميلادي، وهو عصر بداية الهجوم على العالم العربي والإسلامي، وكان أول عالم غربي برز في المجال الاستشراقي هو المستشرق: "وليم باستيل"٩٥١هـ -١٥٣١م، وكان من مخلصي الكنيسة. [١٢]

ومن الباحثين من يربط ولادة الاستشراق بحدث علمي أكاديمي، عبارة عن انعقاد مؤتمر فيينا الكنسي سنة:٧١٢هـ/١٣١٢م، حيث نادى بإنشاء كراسي في اللغات العربية، والعبرية، واليونانية، والسريانية، في أربعة جامعات أوروبية، وهي: باريس[السوربون]، أكسفورد، وبولونيا، سلامنكا، وأصحاب هذا الرأي هم: إدوارد سعيد، ومحمد حمدي زقزوق، وعدنان وزان، ونجيب العقيقي.

ولعلّ هذا الرأي هو الأقرب للصواب والله أعلم، لأنّه مرتبط بحدث تاريخي موثق، وعمل أكاديمي محدد بالزمان والمكان والنتائج، وهو الرأي الذي مال إليه الكثير من الباحثين. [١٣]

رابعاً: أهمّ أهداف الاستشراق.

الأول: الأهداف العلمية المشبوهة.

١- تهدف الأهداف العلمية المشبوهة عند المستشرقين إلى تشويه صورة نبي الإسلام، ومصدر الوحي والعمل على

[٣] [١٦] هو: السير توماس أرلنود(١٨٦٤ ـ ١٩٣٠)، تعلم في كمبريدج، وكان أستاذاً للفلسفة في لاهور، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن(١٩٠٤)، وحاضر في التاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية، وكان معجباً بالإسلام متضلعاً من علومه، منصفاً له في أبحاثه، من آثاره: الدعوة إلى الإسلام، حيث أنه نقل إلى لغات عديدة وحتى العربية فلقي إقبالاً في أوروبا، وله: المخطوطات العربية والفارسية في أمانة حكومة الهند، وعيرها من المقالات التي ألقاها في مؤتمرات دولية حول الأديان، انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، ٥٠٤/١ ـ٥٠٥.

[١٧] انظر: د، مصطفى السباعي، ٢٥ ـ ٣٣، والأعلام، الزركلي، ص٧٧.

[١٨] انظر: عادل ماجد محمد، ص ٢٤، وراجع: مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص١٧.

[١٩] انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، ٩٠٦/٣ـ ٩٠٨.

[٢٠] انظر: موسوعة المستشرقين، د، عبد الرحمن بدوي: ١٩٧ ـ ٢٠٣.

[٢١] الأعلام، للزركلي، ص ٧٦ـ ٧٧.

التشكيك في صحته ومصدره الإلهي، فتجد جمهور المستشرقين ينكرون ظاهرة الوحي، وأنّه صلى الله عليه وسلم مُوحى إليه من عند الله؟ ثم يتفننون في تأويلاتهم للوحي، وعلى أنّه حالة نفسية، أو صرع، ورئي من الجنّ، ومنبع تعصبهم الدّيني ذاك هو التعنت والتكبر على الحق، قال الله تعالى: ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)) [النمل:١٤].

٢- ويتمادون في إنكارهم بأنّ القرآن الكريم ليس كتاباً منزلاً من عند الله، ولكنّهم يُصدمون دائماً بحقيقة إخبار القرآن عن الأمم السابقة، فكيف برجل أمّيّ يخبرهم بتاريخ دياناتهم، وحقيقة المسيح عيسى وموسى وكل الأنبياء عليهم السلام، فضلاً عن الحقائق الكونية والتكوينية التي أوقعتْهم في غياهب الدهشة وأدخلتهم دهاليز مظلمة، فهم لا يهتدون إلى النور، ويتمادون في كذبهم أنّه صلى الله عليه وسلم تَعلّم هذه الأخبار وسمعها من الذين قبَله من أهل الكتاب، ولكن ماذا عن الحقائق العلمية التي اكتشفها العلم الحديث؟ ويتواصل إنكارهم للدين الإسلامي والنبوة المحمدية، وأنّ الدين خليط من اليهودية والنصرانية، كما يدعي المستشرقون اليهود أمثال: "جولد تيسهر" و"شاخت" وغيرهما.

٣- وبعد أنكارهم للنبوة والقرآن تمادوا في غيهم ولجؤواْ إلى التشكيك في الحديث النبوي الشريف، ويتذرعون هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث من وضع ودسّ، متجاهلين الجهود الجبارة التي بذلت في سبيل تنقية السنة المطهرة من الكذب والوضع، وذلك عبر اعتماد قواعد صارمة بالغة الدقة والتحري في نقلها من طرف علماء ثقات من محدثين وأصوليين، والمعروفة لديهم: بعلم الجرح والتعديل، والتي لم تكن معروفة عند الغرب في دراسة الكتاب المقدس.

٤- التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي: التشريع الهائل الذي لم يُجمع لأمّة قبل أمة الإسلام، فزعموا أنّه مستمد من فقه الرومان، ولقد فنّد علماؤنا هذه الكذبة في مؤتمر "لاهاي" بأنّ الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته، وليس مستمداً من أي جهة.

٥- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مواكبة العصر، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، وذلك لنتوجه لآدابهم، وهذا هو الاستعمار الأدبي فضلاً عن الاستعمار العسكري. [١٤]

الثاني: الأهداف الدينية والسياسية.

ألخصها فيما يلي: -

١- تشكيك المسلمين بنبيّهم، وقرآنهم، وشريعتهم.

٢- تشكيك المسلمين بتراثهم وحضارتهم، فلا إبداع فكري لديهم، ولا ابتكار حضاري، وكل ما لدى المسلمين اليوم إنّما هو نابع من الحضارة الرومانية كما يدّعون؟[٤]

[٤] [٢٢] انظر: الردّ على المستشرق اليهودي "جولد تسيهر" في مطاعنه على القراءات القرآنية، د، محمد حسن حسن جبل، ط٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠٠٢م، جامعة الأزهر بمصر، ص ١١ - ١٣.

[٢٣] انظر: المرجع السابق بتصرف، ص٣٩.

[٢٤] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تح، د، بديع اللحام، ط٢، دار قتيبة، دمشق،١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٤٧٦/١ - ٤٧٧.

٣- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث الشك في القيم الإسلامية حتى يسهل على الاستعمار احتلال العقل والفكر، ونشر ثقافة الحضارة الوافدة.

٤- إثارة النعرات الطائفية والخلافات الفكرية والمذهبية للشعوب، وذلك بغرض إضعافهم والسيطرة عليهم.[١٥]

الثالث: الأهداف العلمية الصِّرفة.

وهي دراسة التراث العربي والإسلامي بنية خالصة تتجلى من خلالها الأسرار الخفية، والحقائق الكامنة، وعدد هؤلاء الدارسين من المستشرقين قليل جداً، ولا يسلمون من الأخطاء اللغوية والعلمية في أبحاثهم، ومن النتائج المجانبة للصواب، ويرجع سبب ذلك إلى جهلهم بأساليب وتفانين اللغة العربية من جهة، أو جهلهم بالتاريخ الإسلامي من جهة ثانية، وهذه الفئة من المستشرقين هي الأسلم والأقل خطراً، وفي ذات الحين هي الفئة المتهمة بمجاملة المسلمين.

مثال: المستشرق: "توماس أرلنود" [١٦] حين أنصف المسلمين في كتابه: ((الدعوة إلى الإسلام))، والذي برهن فيه توماس على سماحة المسلمين مع غيرهم، مما أثار حافظة المستشرقين على أن يتهموه زوراً.[١٧]

وخلَص مالك بن نبي إلى نتيجة هامة في كتابه: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، مفادُها:((إنّ الانتاج الاستشراقي بكلا نوعيه، كان شرّاً على المجتمع الإسلامي، لأنّه ركب في تطوره العقلي عقد حرمان، سواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا الحاضر، وغمستْنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا...وعلى كل حال فإنْ أمكننا أن نصرّح بأنّنا نجد على كل وجه جانباً إيجابياً في هذا الاستشراق فإنّنا لا نجده في صورة المديح، بل في صورة التفنيد)).[١٨]

*** التعريـــف بالمستشـــرق جولـــد زيهـــر.**

*** جولْد تسيهر(اجْنَتْس)، goldziherignaz (١٨٥٠ ــ ١٩٢١)**

تمهيد: لقد خصّص الدكتور عبد الرحمن بدوي "لجولدتسيهر" سبعة صفحات كاملة من القياس المزدوج في ترجمته الموسعة له، لماذا؟ لأنّه يعتبره هبة الله من الأوروبيين المؤرخين الذين بلغوا الذروة أو يزيدون، من برعوا في "المنهج الفيلولوجي"حتى وصلوا إلى نتائج خطيرة، فكان سيدَ الباحثين من الناحية الدينية خاصة، والروحية عامة، اجنتس جولد تسيهر.

١- الولادة: كان ميلاده في الثاني والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٥٠بمدينة اشتولقيسنْبِرج بالمجر، من أسرة يهودية ذات قدر ومكانة كبيرين، ونظراً لعامل انتمائه إلى المجر التي كانت جزءاً من الإمبراطورية النمساوية، وعامل انتمائه لأسرة يهودية مرموقة كان له أثر كبير في تكوين شخصية جولد تسيهر.[١٩]

٢- مسيرته الدراسية ورحلاته وأعماله العلمية: أمّا مسيرته الدراسية كانت نواتها في "بودابست"، ومن ثم ارتحل إلى برلين سنة١٨٦٩فظل بها سنة قبل أن ينتقل إلى جامعة ليبستك فتتلمذ على يد أستاذه "فليشر"، الذي كان بارعاً في الناحية الفيلولوجية على وجه الخصوص، وعلى يديه نال جولد تسيهر على الدكتوراه الأولى عام ١٨٧٠وكانت رسالة حول شرح للتوراة في العصور الوسطى ليهودي اسمه: تنخوم أورشلمي،

وبعد عودته من بودابست عيّن مدرساً مساعداً في جامعتها سنة: ١٨٧٢، وبقي سنة واحدة إلى أن أرسلتْه وزارة المعارف المجرية °في بعثة علمية، وكما أنّه قد تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست ولينبريج وبرلين وليدن، وانتدبتْه الحكومة للقيام برحلة إلى سوريا سنة١٨٧٣فصحب بها الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم سافر إلى فلسطين ومصر (١٨٧٣ــ ١٨٧٤)، فتمكن من اللغة العربية على كبار شيوخ الأزهر بمصر، وخاصة الشيخ محمد عبدو لابساً الجبة والعمامة الأزهرية، وتضلع من اللغات السامية، والتاريخ الإسلامي، والعلوم الإسلامية عامة، وعِلم الملل والنحل، والفرق والمذاهب والحركات الفكرية خاصة، فكان محققاً بارزاً، مشهوداً له بالدقة، والنظر، والبحث بعيداً عن الهوى، كما شهد له بذلك كبار المستشرقين وعظماؤهم، وكان "جولد تسيهر" يعتمد على قوة بصيرته ووجدانه، وهما ما ميزه بميزتين هما: –

الميزة الأولى: كان ينهج في أبحاثه نهجاً استدلالياً، لا استقرائياً.

والميزة الثانية: أنه كان بارعاً في كل ما يتصل بالمقارنات براعة تامة، فكان ذا حس مرهف بما هو كائن بين المذهب الواحد والآخر من فروق ودقائق، وكان أكثر لطفاً وإرهافاً ما بين الدين والدين الآخر من مشابهات وصلات.[٢٠]

٣– وسأذكر ما هو أشهر بحث في الدراسات الإسلامية مركزاً على جهد جولد تسيهر في تصنيفها، وهي: –

كتابه عن الظاهرية، (مذهبهم وتاريخهم) سنة ١٨٨٤، ومحاضرات في الإسلام: فهو عبارة عن نظرة عامة في الإسلام من جميع جوانبه، واتجاهات التفسير عند المسلمين: يعد هذا الكتاب تتويجاً لحياته العلمية الخصبة القوية، بدأ جولد تسيهر حديثه في تاريخ القرآن عن أول خطوة في تدوين النص القرآني وما فيه من اختلاف القراءات وأسبابها، وعن المذاهب والاتجاهات في التفسير.

يقول الدكتور علي علي علي شاهين في كتابه الإعلام كلاماً هاماً عن جولد تسيهر نقله عن الدكتور السّباعي، فقال: ((الحق أنّ المستشرق جولد تسيهر من أقل الناس حياء في مجال العلم، فهو كما رأيت يخترع الأكذوبة، ويتخيلها ويركب لها في نفسه هيكلاً...فهل هذا شأن قوم يزعمون التجرد للعلم؟ وهل هؤلاء هم الذين اتخذهم أمثال: "أحمد أمين" أئمة يهتدون بهديهم في تكذيب الصحابة وتجريح التابعين، والتهجم على علمائنا في مجال النقد والتمحيص؟)).

٤– وفاته: حتى كانت وفاته في الثالث عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٢١بمدينة بودابست التي قضى شطر عمره فيها. [٢١]

° [٢٥] مناهل العرفان، ٤٧٧/١.

[٢٦] انظر: الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، د، محمد حسن حسن جبل، ص ٣٩ ـ ٤٤، بتصرف.

[٢٧] نظر: نفس المرجع، ص٤٤، بتصرف، وانظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، أبو عمرو الداني الأندلسي(٤٤٤هـ)، تح: جمال الدين شرف ط، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، سنة: ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ص١٣٩.

[٢٨] نظر: المرجع نفسه، بتصرف، ص٦٩.

[٢٩] البخاري [رقم: ٦٥٣٧]، ومسلم [رقم: ٨١٨].

[٣٠] البخاري: [رقم: ٣٠٤٧].

*** ادعاءات"جولد زيهر"حول القراءات القرآنية، ونقدُها.**

*** النّص القرآني المشهور يرجع للكتابة التي تمّت في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه فقط؟ وليس للعهد لنبوي ــ فترة نزول الوحي ــ ونقدُه.**

لقد ألّف "جلود زيهر" كتابه المشهور:"مذاهب التفسير الإسلامي"، حيث أكد فيه أنّ اختلاف قراءات القرآن الكريم تُعَدّ المرحلة الأولى من مراحل تفسير القرآن الكريم، لكنّه ــ وبخبث دفين ــ لم يقصد جولد زيهر القراءات التفسيرية أبدًا التي ذكرها بعض المفسرين عن بعض الصحابة أبداً، مثل: قوله تعالى:((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)) [البقرة: ٢٣٨] حيث تمّ إضافة كلمة: "صلاة العصر" تفسيراً وبياناً لمعنى الصلاة الوسطى، ولقد اختْلق جولد زيهر أسباباً وهمية في معرض حديثه عن نشأت القراءات القرآنية وأسباب اختلافها وتنوعها، وذلك بغرض الطعن فيها، وللوصول إلى الطعن في مصدرية القرآن الكريم، وأرجع هذا الاختلاف والتنوع إلى أفكار واتجاهات القراء الذين كانت في نفوسهم تلك الرغبة؟ فاستغلوا خلو خط المصحف عن النقط والشكل، فحوّلوا كلمات القرآن الكريم في قراءتهم لتعبر عن خلفياتهم الفكرية ومذاهبهم الإسلامية.

وكما اتهم"جولد زيهر" النصّ القرآني بالاختلاف والاضطراب قياساً على اضطراب النصّ الدّيني اللاهوتي في الكتب المقدسة سابقاً، متبعاً ومقلداً العالم اللاهوتي؛"بيتر فيرنفلس" الذي صرّح عن الإنجيل بأنّه: "كل امرئ يطلب عقائده في هذا الكتاب المقدس، وكل امرئ يجد فيه على وجه الخصوص ما يطلبه"، فزعم جولد زيهر أنّ هذا التطبيق يصلح على القرآن الكريم أيضاً، فاستعمل النظرة الفلسفية الفوقية لتحقيق هذا الغرض في الطعن في القرآن الكريم عبر تنوع قراءاته، فاصطدم بحقائق ووقائع علمية دقيقة، وتاريخية صحيحة للقرآن الكريم، على خلاف ما توصل إليه المستشرقون وعلماء الكنيسة سابقاً في اضطراب النصّ الديني في الكتب السماوية السابقة.[٢٢]

أولاً: الشبهة: ادعاءات "جولد زيهر" حول نشأة اختلاف القراءات: حيث لجأ "جولد تسيهر" إلى إرسال الأحكام على القراءات دون سند علمي يُحتج به، منها: أنّ: النصّ القرآني المشهور يرجع للكتابة التي تمت في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه فقط؟[٦]

ثانياً: نقد الشبهة: تفنيد ادعاءه أنّ: ــ النصّ القرآني المشهور يرجع للكتابة التي تمت في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه ــ فقط؟

الحقيقة التي لا تخفى على أي باحث في الدراسات القرآنية أنّ القرآن الكريم موجود قبل عهد تدوين القرآن الكريم، وقد بدأت كتابة الوحي فور نزوله في العهد النبوي قبل كتابة المصاحف العثمانية بأربعة عقود من الزمن؟ حيث كان المسلمون يقرؤون القرآن ويتلقَوْنه مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، وما وجود مصحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلا دليلاً قاطعاً على سبق كتابة المصحف الشريف الذي أُودع بعد ذلك عند حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم سنة١٢هـ، وهذا التوثيق التاريخي

[٦] [٣١] انظر: الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، د، محمد حسن حسن جبل، ص٣٩.

يقطع الشك في وجه: "جولد تسيهر" الذي يَدّعي أنّ الكتابة كانت في العهد العثماني. [٢٣]

*** ادعاؤه أنّ نشأة القراءات كانت بسبب خلو الخط العربي عن الشكل والنقط: "تجريد المصاحف"، ــ حرية النقط والشكل ــ ونقدُه.**

أولاً: الشبهة: أخذ القراءات عن الخط، وذلك تمّ بسبب "خلو الخط العربي" في كتابته عن الشكل والنقط، مما سمح للقراء اختيار القراءات حسب اتجاهاتهم وما يخدم آراءهم.

ثانياً: نقد الشبهة: تفنيد ادعاءه ــ أخذ القراءات عن الخط، وذلك تمّ بسبب خلو الخط العربي في كتابته عن الشكل والنقط، مما سمح للقراء اختيار القراءات حسب اتجاهاتهم، وما يخدم آراءهم؟

من الردود: إنّ الذي يختار الشكل والنقط يجب أن يكون قد أخذ القرآن من المصحف قراءة؟ ولكنّ الواقع التاريخي يكذب هذا الادعاء لأنّ[٧] وجود المصاحف العثمانية لم تكن موجودة أصلاً إلا في عهد عثمان رضي الله عنه، مع التسليم بالطريقة التي كُتبت بها المصاحف وهي:" التجريد" من النقط والشكل، وصحيح أنّ المصاحف لم تشكل وتنقط إلا في عهد الأمويين أيام الحجاج.

ومن الردود على "جولد تسيهر" أنّ عثمان رضي الله عنه أرسل مع كلّ مصحف قراءً إلى كل مِصر، بعد أن جمع القرآن في مصحف سمّاه: "الإمام" ونسخ منه مصاحف فأرسل منها مصحفاً إلى: مكة، مصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة، ومصحفاً إلى الشام، وحبس مصحفاً بالمدينة، وزاد بعض العلماء مصحفاً إلى كل من: البحرين واليمن. [٢٤]

يقول الإمام الزرقاني: "لقد كان الاعتماد في نقل القرآن ــ ولا يزال ــ على التلقي من صدور الرجال، ثقةً عن ثقة وإماماً عن إمام إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، لذلك اختار عثمان حفّاظاً يثق بهم وأنفذهم إلى الأقطار الإسلامية...فأمر زيد بن ثابت أي يُقرئ بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع البصري". [٢٥]

وعلى فرض قبول هذا الادعاء كان ليكون بعد كتابة المصاحف وليس قبلها؟؟ أضف إليه عارضة الحفظ التي كانت وما زالت تتميّز بها الأمة الإسلامية منذ فجر الإسلام؟ أضف إليه أيضاً تلقي الأمة كلها القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم بالسند الصحيح غيباً عن ظهر قلب بالسند المتصل مشافهة مع مطابقته للرسم العثماني، كما هو شرط قبول القراءات العشر المتواترة، مع موافقة وجه العربية، فمنشأ النص القرآني ــ القراءات العشر ــ هو: المشافهة والتلقي مع الحفظ والمراجعة المستمرة للمحفوظ، وليس هوى القرّاء كما يزعم جولد زيهر.

وإنّ وجود عشرات الصحابة رضي الله عنهم الذين تلقَوْا الوحي من النبي صلى الله عليه وسلم والذين اشتهروا بالحفظ والضبط يُشكل مرجعاً هاماً لصحة نقل النص القرآني بالقراءات العشر المعروفة اليوم عند أهل الفنّ، وهذا الحال يستحيل معه أنّ بعض الصحابة يكون قد أخذ القرآن من وسائل الكتابة آنذاك كـــ: الرّقاع، واللّخاف، والجريد،

٧

والحجارة، وغيرها، أي: أنّ الخط كان مرجعاً لهم في أخذ القرآن والقراءات، وليس التلقي من النبي صلى الله عليه وسلم كما يزعم جولد تسيهر؟

ولطالما كان النبي يقول للصحابة الذين احتكموا إليه في اختلاف القراءات هكذا أُنزلت، وكان الصحابي يردّ على صاحبه بقوله: هكذا أقرأنيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم و لم يقل هكذا وجدتها مكتوبة؟ [٢٦]

وإنّ مسألة مخالفة قراءة الكثير من الكلمات القرآنية في المصحف على غير ما كُتبت عليه ــ أي: على غير هجاءها الذي رُسمت عليه ــ يُعدُّ من الأدلة الدامغة في دحض هذه الشبهات.

الأمثلة العملية: الصلاة، الزكاة، الحياة، الربا، مشكاة، مناة، رُسمت كلّها بالواو بدلاً من الألف: (الصلواة، الزكواة، الحيواة، الربوا، مشكواة، مواة) و لم يقرأها أحد بالواو لجميع القراء العشرة من طريقي: الشاطبية والدرة والطيبة، والأمثلة لا تُحصى في هذا المقام. [٢٧]

*** ادعاؤه حول نشأة القراءات ــ بسبب الحرية المطلقة ــ:"القراءة الفردية"، ــ حسب قواعد القبيلة ولهجتها ــ ونقدُه.**

أولاً: الشبهة: إنّ نشأة القراءات كانت بسبب الحرية الفردية لكل قارئ من القراء، على اختلاف طبقاتهم، **ف**هم الذين قاموا بتشكيل المصاحف حسب لهجاتهم المعهودة؟

ثانياً: نقد الشبهة: تفنيد ادعاءه، إنّ نشأة القراءات كان سببها الحرية ــ القراءة الفردية ــ المطلقة؟

ترجع نشأة القراءات إجمالاً إلى مصدرين اثنين هامين وهما: –

أولهما: التيسير على الأمة في حديث الأحرف السبعة.

ثانيها: نزول القرآن باللهجات العربية.

التفصيل: إنّ القراءات القرآنية نشأت مع بداية نزول الوحي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يأمر بكتابته من طرف بعض الصحابة رضي الله عنهم ــ كتُّاب الوحي ــ كزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان، وابن مسعود وغيرهم، ثم يأمر من كتبه أن يستظهره أمامه، ونظراً لاختلاف أحوال أمته صلى الله عليه وسلم واختلاف لهجات القبائل العربية طلب من ربّه التخفيف والتيسير باستنزال القرآن على غير حرف واحد، ويظهر هذا الاختلاف والتنوع في القراءة جلياً في مواضع عدة أذكر منها:

"أوصى" و"وصى"، و"كتبه"، و"كتابه"، و"فتثبتوا"، و"فتبنوا""،[٢٨]...ولقد أدى هذا التنوع إلى صراع بين الصحابة رُفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأقرّ كلاً منهم، كما حصل بين سيدنا عمر وهشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما في آيات من سورة الفرقان حيث أنهى الخلاف بينهما فقال: ((إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تَيسّر منه)). [٢٩]

وحديث: ما أخرجاه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَقْرأني جبريل على حرف فراجعْته، فلمْ أَزَلْ أَستزيده ويَزيدُني حتى انتهى إلى سبعةِ أحرف". [٣٠]

* **ادعاؤه أنّ النّص القرآني هو أكثر النصوص اضطراباً ــ اختلاف وتناقض النصّ ــ محتجًّا باضطراب النصوص في الكتب المقدسة السابقة، ونقدُه.**

أولاً: الشبهة: النص القرآني هو أكثر النصوص **اضطراباً**، محتجاً بالاضطراب في كتب الشرائع السابقة؟

ثانياً: نقدُ الشبهة: تفنيد ادعاءه، النص القرآني هو أكثر النصوص اضطراباً، مُعللاً بالاضطراب الحاصل في كتب الشرائع السابقة؟

ردُّ أحد الباحثين عليه بقوله: "إنّ جولد تسيهر" لم يطلعْ على كتب الشرائع السماوية فكيف يُطلق الحكم عليها بعدم الاضطراب كما اتهم القرآن؟، واعترف في ذات الحين بتعدد لغات التوراة كما ورد في التلمود، كما أنّ لها أكثر من نسخة؟ وكما اعتراف المستشرق: "آثر جيفري" أنّ تاريخ التوراة والإنجيل وصحة نسبتهما أبعد عن الصحة!، وقد يُعاب على "جولد زيهر" أنّه أغفل اعترافه شخصياً بوجود عدة نصوص للتوراة، حيث يقول في التلمود بنزول التوراة بلغات كثيرة مختلفة؟ كما مرّ، فهل أنّه لم يطلع على الكتب السماوية السابقة؟ أو أنّه تعمّد قاصداً إنكار ذلك؟ وإلصاق التهمة فقط بالقرآن الكريم بسبب تعدد القراءات القرآنية فيه؟ لكنّ هذا الاختلاف في نصوص التوراة، وتعدد الأناجيل واضطرابها في تحديد ألوهية ومصير سيدنا عيسى عليه السلام وحده كافياً للردّ عليه، حيث أنّ اضطراب النص في التوراة والإنجيل كافياً ليشكل مصدراً هاماً للطعن فيهما؟ بخلاف القرآن الكريم حيث ثبت اختلاف نصوصه ــ أي تنوع القراءات القرآنية ــ بالضوابط الأساسية من: موافقة اللغة ولو بوجه، والرسم العثماني ولو احتمالاً، وصحة السند كما مرّ، وهذه شروط قبول القراءة من عدمها. [٣١]

وأختم بمسألة: مخالفة القراء للهجاتهم المعهودة في قبائلهم في قراءة القرآن الكريم، فهذا المقرئ البصري أبو عمرو بن العلاء من قبيلة تميم التي تنطق كلمة: "مرية" بضم الميم لا بكسرها كما تقرأ في القرآن تماماً، فلمّا اعتُرض عليه لماذا تخالف لهجة قبيلتك أجاب بقوله: هكذا أُنزلت: قال تعالى: ((فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ)) [هود:١٧]، قرأتُها في الحجاز؟ أيْ: هكذا تلقّاها من شيوخه في القراءة بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن تبقى قضية كيفية أخذ القراءات عن النبي بالتلقي والمشافهة غيباً وحفظاً قوياً عن ظهر قلب لا من المصاحف والخط هي الحجة القاطعة والبرهان الساطع في دحض أي افتراء وادعاء بأنّها أخذت من الخط؟ فالقراءات نشأت تلقياً لا أخذاً من الرسم؟ تلقياً من أمين الوحي جبريل عليه السلام عن ربّه جل جلاله، إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إلى الصحابة ومنهم إلى التابعين، ومن ثم إلى تابع التابعين حتى وصل إلينا محفوظاً غير منقوص، ويُتلى غضاً طرياً كما أُنزل إلى قيام الساعة، وهذا من حفظ الله تعالى للقرآن الكريم عبر العصور والدهور قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَـــحَافِظُونَ)).

* **الخاتمة**

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى واهتدى، وبعد: –

لا ينكر باحث أنّ أعمال المستشرقين عبر التاريخ كانت إيجابية وسلبية، لكن كيف تتلقّف الأمة الإسلامية أعمالهم الإيجابية والسلبية على السواء؟ أمّا أعمالهم الإيجابية فيحكم العقل والمنطق عليها بأن ندرسها ونحققها لنتأكد من سلامتها والنصّ الديني، فنستفيد منها في أعمالنا العلمية في الجامعات والمعاهد ومختلف الدراسات القرآنية والإسلامية، وذلك لإثراء التراث الإسلامي، ومواكبة التجديد والتطوير في العصر الحديث، وأمّا عن أعمالهم السلبية الخطيرة والتي تطعن في "مصدرية الوحيين خاصة"، ومحاولة النيل من شخصية سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم، فيجب علينا أن نقف منها موقف الباحث المنصف، والدارس المتمعن، والناقد البصير، لنصل إلى الحقيقة العلمية الدقيقة، ورد كل إلى نصابه، وتقويم أي اعوجاج قد يُصيب جدار التراث الإسلامي، فننقد كل زعم، ونرد كل شبهة، ونمحي كل سواد، ونبدد كل ظلام، عن جوهر النص الديني، لكن بالعلم الدقيق، والحجة الدامغة، والبرهان الساطع، بعيدين كل البعد عن التعصب والتطرف والتحيز، ولقد كان بحثي هذا لبنة صغيرة متواضعة في تحقيق هذا الأمل الكبير، والمنشود في هذا الزمن المتأخر والذي أصبح يَعُجُّ بشبهات وادعاءات حول القرآن الكريم خاصة، والسنة النبوية الشريفة، والفقه الإسلامي، ....إلخ، والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على النبي الكريم سيدنا محمد المبعوث بالوحي المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

*** النتائج**

١- العناية بدراسة آثار المستشرقين حول التراث الإسلامي الزاخر.

٢- عدم التسرع في إطلاق الأحكام الجزافية عليهم بدافع التعصب والتطرف.

٣- ضرورة الحذر من مطاعن المستشرقين حول القراءات القرآنية، فهي من أعمالهم السليبة ودراستها ونقده.

٤- ادعاءات جولد زيهر لم تبن علي أسس علمية متينة.

٥- التناقض الصريح في شبهة اضراب النّص القرآني مقارنة بالكتب المقدسة السالفة.

٦- القراءات القرآنية مصدرها التلقي والمشافهة والحفظ لا الهوى وخلفيات القراء.

٧- القراءات عبر الزمان انشرت بالسند المتصل إلى مهبط الوحي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقط.

*** المراجع**

القرآن الكريم.

صحيح البخاري/صحيح مسلم/ مسند الإمام أحمد.

ابن منظور، لسان العرب، ط، دار المعارف القاهرة، سنة:١١١٩م.

أبو عمرو الداني الأندلسي(٤٤٤هـ)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، تح: جمال الدين شرف ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، سنة: ١٤٣١هـ ـ٢٠١٠م.

الدكتور أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، ط١، سنة: ٢٠٠٩مـ، الرباط.

خير الدين الزركلي، الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، سنة: ٢٠٠٢م.

د، عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين د، ط، ٣ دار العلم للملايين، بيروت، سنة: ١٩٩٣م.

مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.

كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية.

محمد علوي المالكي، موقف السلم من الدراسات الاستشراقية، ط: دار حسان، القاهرة.

محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: د، بديع اللحام، ط٢، دار قتيبة، دمشق، سنة: ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

الدكتور مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط: دار الورّاق، المكتب الإسلامي.

الدكتور مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط٢، دار المكتب الإسلامي، بيروت ـ دمشق، سنة: ١٩٧٨م.

نجيب العقيقي، المستشرقون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، سنة:١٩٨٠م.

القرشي حاتم، نقد لمقدمة آرثر جيفري في كتاب المصاحف، نقد منشور في موقع ملتقى أهل التفسير، سنة: ١٤٣٢ه، ـ ٢٠١١م.

موقع إسلام أون لاين، عبد الوهاب القرش، تأثير الفكر الاستشراقي في الغرب، (بحث على الشبكة)، مقال، بتصرف.

د، محمد السعيد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، مقال.

انظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، الشيخ عبد الفتاح القاضي، طبعة دار السلام، مصر.

انظر طيبة النشر لابن الجزري، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة.

ابن الجزري، منجد المقرئين، ط، دار الآفاق.

معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين.

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

غاية النهاية فقي طبقات القراء، لابن الجزري، دار الكتب العلمية.

موقف السلم من الدراسات الاستشراقية، محمد علوي المالكي، ط: دار حسان، القاهرة.

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للد/حمدي زقزوق، ط٢، دار المنار القاهرة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

ووزان عدنان محمد، في كتابه: الاستشراق، والمستشرقون، مكة المكرمة، رابطة العلم الإسلامي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص١٥.

الاستشراق رسالة استعمار، د/محمد إبراهيم الفيومي، ط دار الفكر العربي، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، القاهرة.

الفهم الاستشراقي في تفسير القرآن الكريم لعادل ماجد.

إدوارد سعيد، الاستشراق، جدة،١٤٠٦هـ، Edward Said. Orientalism/p.02.

عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط، المكتبة العصرية، بيروت.

الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، د، عدنان محمد وزان، مكة المكرمة.

موسوعة المستشرقين، د، عبد الرحمن بدوي، دار الكتب العلمية.

والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين.

مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي بيروت ــ دمشق ط٢ ١٩٧٨م.

الردّ على المستشرق اليهودي"جولد تسيهر" في مطاعنه على القراءات القرآنية، د، محمد حسن حسن جبل، ط٢، ١٤٣٣هـ ــ ٢٠٠٢م، جامعة الأزهر بمصر.

المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، أبو عمرو الداني الأندلسي(٤٤٤هـ)، تح: جمال الدين شرف ط، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، سنة: ١٤٣١ه ــ ٢٠١٠م،

الرسائل الجامعية، والمواقع، والمجلات:

عادل ماجد، الفهم الاستشراقي في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير في جامعة الكوفة العراق، إشراف د، ستار جبر الأعرجي، سنة: ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م.

الاستشراق في الأدبيات العربية، علي النملة، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، ع:٣٢٢، ١٤٢٤هـ.